

أثر المرجعية في بناء المجتمع

أ.د. رحيم خريبط عطية / مركز دراسات الكوفة

المقدمة:

يدرس هذا الموضوع الاثر المترتب على تناول المرجعية للاحداث التي يمر بها الشعب العراقي في العصر الحديث ؛ لما لها من مكانة حصلت عليها باستحقاق كبير ، فهي تنحدر من الرؤية الشاملة للاسلام المحمدي الاصيل الذي يريد للناس ان يعيشوا بكرامة متمتعين بحقوق شرعها الدين الحنيف ، وقد دار البحث على مباحث ثلاثة هي : السلم المجتمعي الذي لا بد منه في بلد متعدد الطوائف والقوميات ، إذ تقتضي المصلحة ان يعيش ابناء المجتمع الواحد في وئام يساعد بعضهم بعضا ، وتناول المبحث الثاني : الدفاع عن حقوق الناس الذين يعيشون في هذا المجتمع المتعدد ، والوسيلة الحيدة هي ان تحفظ حقوق الجميع لا ان نعنى بمجموعة دون اخرى . وتناول المحور الثالث : النصح والتوجيه الذي دأبت عليه المرجعية طوال خطب الجمعة بعد التغيير الذي حصل في العراق ، ومن خلال الاستفتاءات التي كانت تقوم بها واغلبها ما يطرحه الناس عليها منتظرين الرد الشرعي .

هذا العمل هو ما استطعت الوصول اليه عن طريق قراءة توجهات المرجعية من خلال خطبها واستفتاءاتها ، وعبرت فيها عن رؤية وطنية واسلامية صالحة ، ارجو ان اكون وفقت بعلمي ، وما توفيقى الا بالله العظيم ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

أولاً : السلم المجتمعي

دأبت الشرائع السماوية جميعها على العناية بالمجتمع بعناية فائقة ، وقد بذل أنبياء هذه الشرائع مجهوداً عظيماً للحفاظ على ذلك . ولا نعدم من الشرائع الوضعية والديساتير التي كتبها عقلاء المجتمعات على مرّ العصور من عنني به أيضا ؛ إذأ هي حاجة فطرية عند الناس . ومن أهم تجليات المجتمع حاجة أبنائه إلى العيش بسلام والابتعاد عما ينغص حياتهم ، ولانستغرب ذلك مع وجود الاختلافات بين أبناء المجتمع الواحد ، ففي أبنائه الاسود والابيض والغني والفقير ومن ينحدر من قومية تختلف عن قوميات الاخرين الذين يعيشون إلى جنبه . ففي سبيل الاستمرار بالحياة ينبغي صوغ قوانين او

دساتير تنظم الحياة . ولاريب في أن الله سبحانه وتعالى لم يترك عباده يعيشون على أهوائهم ، بل بعث النبيين مبشرين ومنذرين ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور . وقد أخذ الشارع المقدس حقيقة أن الانسان إجتماعي بطبعه - وهذه حقيقة ثابتة لايمكن إغفالها - لذا حضّ الانبياء جميعا على مراعاة حقوق الناس حتى وإن لم يكونوا على شرائعهم وأنزل رزقه على الناس جميعا حتى الطغاة من الذين يأكلون حقوق غيرهم ، بل إننا لانعدم أن نجد رزق من هو مجرم أو كافر يكون أكثر وفرة من مؤمن متقّ ! تلك إرادة الله ربما يعذب بها من يشاء ؛ لذا قالت المرجعية - وهي تلامس هذه الحقيقة - : "إنّ كلّ فرد وكل مجتمع بحاجة ضرورية للتعايش مع الآخرين ؛ لأنه، لايمكن لكل فرد أو مجتمع أن ينهض بمقومات وجوده إلا من خلال التعايش الاجتماعي وفق مبادئ وأسس وقواعد تنظم هذه العلاقات بحيث يستجاب منها الحاجة الفطرية وتتسق مع سيرة العقلاء ، وفي نفس الوقت يستقر المجتمع ويسعد وتنظم أموره بعيدا عن تسلط الانانية والغريزة الشخصية والمصالح الانانية الضيقة وغير ذلك من الامور الانسانية التي تهدد سلامة العلاقات الاجتماعية وتهدد استقرار المجتمع"^(١)

وربّ سائل يسأل : لم يقبل مجتمع مسلم - على سبيل المثال - يشكل أفراده النسبة الكبيرة بآخرين لايشكلون إلا نسبة ضئيلة من ويتعايشون معهم ، فيأتي الجواب على النحو الآتي : إنّ الله تعالى خلق الناس متساوين في الحقوق والواجبات وأن لا إكراه في الدين ، فليس من حقّ الاكثرية مصادرة حقوق الاقليات الاخرى ، وكان الرسول الكريم (ص) لايفرض على الناس اتخاذ الدين الاسلامي بالاكراه ، ومن زعم أن الاسلام انتشر بحدّ السيف فهو واهم ، بدليل أن أول معركة وقعت في الاسلام بين النبي الاكرم (ص) وبين قريش كانت موقعة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة وكان النبي (ص) لم يأمر بها إنما امثل للامر الالهي : **حَسَنُ اُذْنٍ لِلَّذِينَ يَفْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ** **اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ عِنْدَهُ** ^(٢)

بعدهما اشتدّ أذى قريش للمسلمين وعذبوهم وصادروا أموالهم ونهبوا بيوتهم ومتجارهم . فإذا كان لا بدّ من توجيه لوم يوجّه إلى من اعتدى وليس لمن يدافع عن

حقوقه المشروعة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية إن النبي عليه الصلاة والسلام حين دخل مكة فاتحاً ومنتصراً عفا عن المشركين جميعاً بما فيهم العتاة والمردة والمجرمين - حتى قاتل أسد الله ورسوله "وحشي" - لمعرفة صلى الله عليه وآله بجرمة الدم وأنه يذهب بالدولة - مهما كان جبروتها وعظمتها^(٣)

، ومن جهة أخرى : إن الدولة أو المجتمع ينبغي أن تنظر نظرة مستقبلية فالدول لا تبقى على حال وربما ستضعف في يوم من الايام أو يحصل الخصم على سلاح فتاك سيضر بالاسلام أو يقوم بمؤامرات على الاسلام للانتقام ، فعلى المسلمين أن يكونوا حذرين ويتأسوا بالنبي (ص) وأهل بيته الطاهرين وصحابته المنتجبين الاخير فنحن مأمورون باتباع سنة المصطفى الكريم (ص) ؛ لقوله تعالى **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** عِنْدَهُ^(٤)

ونحن نعلم أنه صلى الله عليه وآله عقد صلح الحديبية مع أن المسلمين لم يكونوا راضين ظناً منهم أن الاسلام لا يفيد من هذا الصلح ، لكنه صلى الله عليه وآله نظر نظرة بعيدة جداً تمثلت بإمكان الاسلام أن يستقطب عدداً كبيراً من الناس وفعلوا حصل ماكان النبي (ص) قد خطط له . فالمسلمون يعيشون في مجتمع قائم على التجارة والصناعة والمصالح الاخرى المشتركة ، ولا يمكنهم أن يعيشوا في دولة لوحدهم ، تلك الدولة ستكون عنصرية وهي خلاف طبع البشرية ولا بد لها أن تظلم حقوق الاخرين على غرار "دولة" اسرائيل العنصرية . ف((الانسان يعيش مع آخرين يختلفون معه في الرأي والدين واللغة وغير ذلك من الامور . ماهي المبادئ والاسس التي وضعها الاسلام التي تتفق مع الفطرة وسيرة العقلاء والحاجة الانسانية التي وضعها للتعايش الصحيح والسلمي مع الاخرين ، لدينا مبادئ إن فهمناها واستطعنا تطبيقها أمكن أن نضمن علاقات صحيحة ، ونضمن الاستقرار والسعادة للفرد والمجتمع))^(٥)

وهذه الاراء والتوجيهات مأخوذة أصلاً من سيرة المصطفى الكريم(ص) وأهل بيته الطاهرين؛ فالمرجعية قد أخذت كل هذا وغيره واستنبطته لتضع مادة صالحة للمجتمع

العراقي وغيره قابلة للتطبيق من جهة ومن جهة ثانية تكون مستندة إلى أصل شرعي مضمون الجوانب .

وأرى أن المجتمعات الغربية نجحت في هذا الجانب ؛لأنها اعتمدت على قوانين طبقتها والتزمت بها ، فالقانون هو الذي ساعدها في النجاح وليست أخلاق تلك المجتمعات ، وبهذا فنحن أحوج ان نطبق قوانين صدرت أصلا من تراثنا الزاخر بسنة الرسول العطرة(ص) ولم نكن مجتمعاً جاء بالصدفة أو كونه ظروف معينة، بل نحن مجتمع عريق لنا حضارة راسخة في اللغة والطب والرياضيات وغيرها من العلوم في وقت كانت المجتمعات تتخبط في الظلام .

ومما يهدد السلم المجتمعي شعور الافراد بالطغيان والجبروت وعندها تبرز "الأنوية" عندهم بشكل كبير وهي تتأتى من قوة الجماعة على حساب الاقليات، سواء أكانت هذه الاقليات نتيجة القومية أو اللون أو الانتماء لحركة او حزب أو غير ذلك ، المهم هو أن يشعر الفرد بانتماء معين تجعله يعتقد ان هذا الانتماء يحميه وهو فعلا سحيمه ونحن نلاحظ من ينتمي إلى حزب او قبيلة لا يطاله القانون . والسبب - كما قلت - ضعف القانون أو غيابه وهذا من الامور الهدامة للمجتمع . فالفرد حين يتصرف بأنوية لا يفكر بالمجتمع ولا بعاقبة الامور التي ستحقيق بمجتمعه وبه هو أيضا . وقد أرجع باحث ذلك إلى "المذاهب المادية" بقولها : ((المذاهب المادية تعمل على تأكيد خصوصية الفرد وإثارة كوامن الانانية فتنزع عجباً وغروراً وجبروتاً فان الاسلام يعمل على استبدال محورية الفرد والانا ويسقط هذه التفاريق عن ان تكون سببا في التفريق ويصوغها من جديد لتصبح وسيلة وسببا في الجمع والتوحيد ويحوّل الخصوصيات الفردية إلى روافد للخير وحوافز للنمو والتكامل في الشخصية الانسانية الجامعة بعد تزكيتها وشحنها بالهدى والخير وبالطاقات الكبيرة والمؤثرة حتى تصبح في قبضة إرادة الانسان ولتكون الرصيد الذي يعتمد عليه ويستفيد منه في سعيه وكدحه إلى الله ليصبح من ثم تجسيدا للإنسان الإلهي الذي هو في أحسن تقويم ويكون الله بالنسبة إليه هو المآل والنهاية كما كان سبحانه هو المنطلق والبداية))^(٦)

والباحث الكريم إذ يرجع هذا إلى المادية إنما ينطلق من قضية المصلحة التي تؤمن بها المادية في أن يكون الانسان بين أمرين ، إما أن يكون خاسرا أو أن يكون رابحاً من دون النظر إلى القضايا الروحية التي طالما تعلّق الانسان بها وفسّر بها الظواهر الكونية وربطها تارة بالالهة وتارة بأمور أخرى غيبية في حين كان الانسان المؤمن الذي يؤمن بالنبوات يرجعها إلى تعالى في منهج دقيق مطّرد وصحيح ناتجاً عن رؤى ملموسة ، فكثيراً ما وعد الانبياء أقوامهم وتحقق ما وعدوا به . ويكمل الباحث : ((وبهذه المحورية الالهية والبديلة عن محورية الانا يصبح الانسان جامعا لكل معاني الخير والصدقية والواقعية التي تستشرف كل هذا الوجود وتهيمن عليه من موقع الحكمة والمعرفة والرعاية والهدى والخير والقوة وتتكون له منتم حياة جديدة وهوية جديدة ولون وطعم جديدين وتنشأ لديه رغبات ونزعات وطموحات وخصوصيات ومزايا جديدة وفريدة أيضا ؛ وبذلك فقط يحفظ هذا الانسان من الضياع إذ بدون ذلك سيضطر لو أنه فقد معالم شخصيته الفردية وواجه الصراع مع نزعات وخصوصيات الاخرين الفردية المتناقضة والمتناحرة نعم سيضطر للإنكفاء من جديد إلى أحضان الانا وإلى آفاق الفردية ويصبح سجينها وضحيتها ، وما أشقاه من سجين وما أعلاه من ضحية))^(٧)

وأرى أن قضية الفردية لم تحتص بالفكر المادي او غيره ، بل هي قضية عامة تخص المسلمين أيضا بجميع مذاهبهم ونحن نعرف التاريخ الاسلامي وكيف تفرّدت أسر معينة بالحكم وصوّرت للناس انها على حق وكل خصومها كانوا على باطل ، وهذه قضية كبرى أخذت مأخذا من الفكر الاسلامي ومن التاريخ الاسلامي ؛ لذلك على من يكتبون التاريخ أن يكونوا موضوعيين في نقل الحقائق من دون مواربة ومن دون الانحياز إلى طائفته ؛ لذا فان المرجعية التفتت إلى هذا الجانب فقالت : ((وقد أكدت المصادر الاسلامية على أن التعايش السلمي المبني على رعاية الحقوق واداء الواجبات هو التجسيد لمبدأ العدالة في الدين الاسلامي))^(٨)

والملاحظ انها قالت : المصادر الاسلامية ، لتبين أن الاسلام واحد ويجب تطبيق العدالة على طوائفه من دون تمييز ، ومن يظن انها تقول ذلك وتقصد الشيعة فقط كون المرجع

كبيراً وينبغي تأويل كلامه ؛ لأنه يعد - ضمناً مرجع الشيعة فقط - فهذا أمر لا يعتد به وينبغي أخذ الكلام بدلالته لا أن نوجهه كيفما اتفق وبجسب مصالحنا . ولم تكتف المرجعية بالتوجيه على الدين الاسلامي الحنيف بل قطعت الطريق على المتصدين في الماء العكر وشملت ايضاً اتباع الديانات الاخرى بقولها ((لاحظوا إخواني مسألة تعايش أتباع الديانات المختلفة في الوطن الواحد والشعب الواحد والبلد الواحد وإذا لم نحسن التعايش بين أتباع هذه الديانات سيقود إلى الكثير من المخاطر في مجالات الحياة المختلفة))^(٩)

ولا يقتصر التعايش السلمي هذا على الجوانب الفكرية والعقائدية والثقافية فقط ، إنما ينسحب على الجوانب الامنية والاقتصادية والاجتماعية أيضاً إذ قالت المرجعية - وهي تقيد قولها السابق بتقييدات واضحة وتستأنف ((قد يتصور بعض الناس أن هذا الاختلاف بين أتباع الديانات إنما مخاطره وتحدياته ومشاكله في الجانب الثقافي والعقائدي فقط لا إذا لم نحسن التعايش الاجتماعي والثقافي أيضاً فإنه ستولد مخاطر ومشاكل أمنية واجتماعية وغير ذلك))^(١٠)

فمن ظن من الذين لا يفهمون الدين الاسلامي الحنيف فهما صحيحاً أن الحاكمة للشريع المتمثلة بالاسلام ، وهذا صحيح من حيث المبدأ ، إلا أننا لانأخذ الامور بشكلها العام المسطح ، بل علينا ان لا نهتم حقوق الناس تحت غطاء الدين وهذه من أخطر الاشياء حينما تؤخذ الحقوق باسم الدين ، رأت المرجعية أن تلتم مثل هؤلاء حجراً بقولها : ((والله تعالى قال اتركوا هذا الامر وأنا أفصل بين العباد يوم القيامة لذلك حينما نعيش قدرا في هذا المجتمع أو بقية المجتمعات))^(١١)

وهي تشير إلى قوله تعالى : **حَسُنَ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰلِحِينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالْمَجْسُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ عِنْدَهُ** ^(١٢)

فالناس كل يدعي حقه وأن الاخرين على ؛ لذلك حسمت القضية بهذا التدخل الالهي ، وقد أعطى سبحانه كل ذي حق حقه في ضمت هذه الاصناف الاخرى : **حَسُنَ فَاَسْتَجَابَ**

لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنَّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بِبَعْضِكُمْ مِّنَ بَعْضٍ ۗ فَأَلَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا عِنْدَهُ (١٣)

ولابد من الالتفات إلى حقيقة مفادها أننا لانستطيع حل مشكلة الاختلاف الديني بمعنى أنك لاتستطيع أن تغير مجتمعا نصرانيا بليلة وضحاها إلى ديانة أخرى وهكذا مع بقية الاديان ؛ لذلك لابد من القبول بهذه الحقيقة وترك الناس على سجيبتهم في مسألة تتعلق بالعتيدة ، قال تعالى : حَسُنَ ۗ ﴿١٤﴾

وتأتي إشارة المرجع في خطبته إلى هذه الحقيقة الثابتة التي لا يستطيع البشر التغلب عليها : ((وإن هناك اختلافا في مسألة الانتماء الديني وإن هذا الامر لايجل ولايمكن حله ؛ لذلك لابد أن نتعامل مع هذا الامر كأمر واقع)) (١٥)

ولا شك ما يترتب على ذلك حرية العيش وحرية الفكر وحرية اتخاذ الدين ، والاهم من ذلك كله حرمة الدماء فهناك نهى شديد من الله تعالى في حرمة دماء المسلمين وقد بين النبي المرسل (ص) ذلك في خطبة حجة الوداع. وقد أشار القرآن بجرمة الدم للناس كافة ولم يقتصر الامر على المسلمين فقط ، قال تعالى : حَسُنَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا عِنْدَهُ (١٦)

فلا يصح قتل الناس بحجة الدين المختلف إلا بشروط معروفة . ومع هذا فالناس تقتل بعضها بعضا ؛ لذا أشار الشارع المقدس إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى استكمالا للآية السابقة : ((وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ)) (١٧)

فالواقع يشير إلى غير ذلك ، إذ أن ثقافة المجتمعات ((اليوم وبدون استثناء هي ثقافة مستوردة ومنحرفة وهذه هي مشكلتنا الاساسية)) (١٨)

والحق ان الثقافة متشعبة منها مفيد ومنها ضار ، والمرجع المدرسي يقصد الثقافة المستوردة الضارة ؛ لذا قال قبل هذا النص : ((ان المجتمع بحاجة اليوم إلى من يدرك أوضاعه ويحل مشاكله ويتفهم أزماته))^(١٩)

وقد دأبت الشريعة الاسلامية على وجوب أن يعنى الحاكم برعيته على اختلاف انتماءاتهم ، ولا ينبغي له أن يغفل الاخرين ويركز على من ينتمون لدينه أو طائفته ، ومن أظهر الامثلة على ذلك – بعد رسول الله صلى الله عليه وآله – ما قاله الامام علي لعامله : ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم ، ولا تكونن سبعا ضاريا تغتتم أكلهم ، فانهم صنفان ، إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق))^(٢٠)

فترى كيف أن الشريعة عنيت عناية بالغة على يد خليفة رسول الله (ص) وحاكم الدولة مدفوعا بالسيطرة على هوى النفس وضبط سلوك الوالي الذي يخضع لغريزة حب السلطة وما يرافقها من غريزة تدميرية (ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا) فعلماء النفس الاجتماعي – ومنهم ويليام مكدوجال – ضبطوا ما سمي بـ (غريزة السيطرة) وانفعالها الزهو وما سمي أيضا بـ (غريزة المقاتلة) وانفعالها الغضب . وهذا المبدأ منطلق أساسا من ان ((مصدر الغريزة هو حالة من التوتر داخل الجسم ، وهدفها هو القضاء على هذا التوتر ، وموضوعها هو الاداة التي تحقق الاشباع أو توصل إليه))^(٢١)

ثانياً : الدفاع عن الحقوق

يتعرض الانسان – وهو يعيش في مجتمعه إلى مكاره واعتداءات من أعداء نتيجة تعارض مجتمعه معهم في الدين أو المصالح أو الصراع على النفوذ ، وقديما قيل : إن سبب الصراع بين بني البشر : لقمة أسوغ من لقمة أو وجه أصبح من وجه ، فإذا كان مجتمع مثل المجتمع العراقي بتاريخه وإراثه الحضاري وبالموقع الذي يتمثل في وقوعه في منتصف الكرة الارضية وأن الطرق الملاحية جوا وبراً وبحراً تمر به ، وقديما قيل : من يملك العراق يملك الجهات الاربع ، كل هذا جعله ساحة للصراع من أجل الاستحواذ على خيراته ومن أجل الحصول على النفوذ .

فلا بد لمن يتصدى للمرجعية من أن يكون في المسؤولية الشرعية وما تفرضه من واجبات جسيمة تتعلق في بعض الاحيان بالجهاد ضد الغزاة والطامعين في البلاد ، فحين احتل الانكليز البصرة في سنة ١٩١٤ وقف زعماء الدين في العراق مع ثلة من المجاهدين العراقيين بوجه انكلترا إلى جانب الدولة العثمانية لان الاسلام يفرض ذلك . إذ أصدر شيخ الاسلام في الاستانة فتوى في الجهاد العيني على المسلمين الذين يعيشون تحت حكم بريطانيا وفرنسا وروسيا رافقتها برقيات إغاثة من أهالي البصرة إلى مراجع النجف وكربلاء^(٢٢)

وقد نقل الدكتور علي الوردي مما ورد في كل برقية من البصرة إلى رجال الدين: ((نثر البصرة ، الكفار محيطون به ، الجميع تحت السلاح ، نحشى على باقي بلاد الاسلام ، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع))^(٢٣)

ومع هذا لم تكن فتاوى علماء النجف والمدن الشيعية الاخرى تلاقي من يلبها لافي البقاع الاسلامية الاخرى مع نشوب ثورة الحجاز في سنة ١٩١٦ بقيادة شريف مكة ؛ لان تميلها كان من بريطانيا نفذت على إثرها معاهدة سايكس - بيكو التي قضت بتقسيم البلاد العربية التي كانت تحت الحكم العثماني^(٢٤)

وفي الحقيقة لعب رجال الدين دورا مهما وبارزا ، لم يقتصر على الجانب الوعظي والارشادي ، بل تعداه إلى تنظيم صفوف المجاهدين غير أبهين بالقلة القليلة التي رأت بعدم مساعدة العثمانيين نظرا لطائفتهم واستبدادهم ، وراحت تستجيب لفتوى شيخ الاسلام ونجدة البصريين وجاء السيد الحبوبى ممثلا عن الزعيم الشيعي الاعلى إلى الشعية لمحاربة الانجليز^(٢٥)

وقد قادت المرجعية ثورة العشرين بعد الاحداث التي ذكرت ، ومع انها لم تحقق الانتصار المطلوب للعراقيين وبما يقابل تضحياتهم الجسيمة إلا انها أثمرت ثورات ضد المحتلين منها ثورة ١٩٢٢ في فلسطين وثورة الريف المغربي في سنة ١٩٢٥ وغيرها ، وانتهت ثورة العشرين بتنصيب ملك هاشمي على العراق ، وأعلن الامام الخالصي حينئذ أمام حشد كبير في مدرسته في الكاظمة خلع بيعة الملك بقوله : ((بايعنا فيصل

ليكون ملكا على العراق بشروط ، وقد أخل بتلك الشروط ، فلم تعد له في أعناقنا وأعناق الشعب العراقي بيعة))^(٢٦)

فمتى ما رأت المرجعية أن حقوق المسلمين ولاسيما الشيعة اهتمت فانها تهب في الدفاع عنهم حتى لو كلف الامر إصدار أوامر بالجهاد العيني - مثلما مر علينا - أو بالجهاد الكفائي - مثلما أصدرت المرجعية العليا فتواها ضد "داعش" حينما أسس تنظيمه على الاراضي السورية والعراقية. وكان للمرجع - منذ أوائل ١٩١٤ إلى هذه اللحظة يدافعون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ف ((سلك السيد الحكيم طريق النضال من أوسع أبوابه ، فكان العلم المناضل والبطل المجاهد منذ أول شبابه حتى وفاته ، فقد سحب السيد الحبوبى إلى الشعبية منذ اللحظة الاولى لدى تحركه من النجف الاشرف في ١٦/محرم الحرام/١٣٣٣هـ = ١٦/١٠/١٩١٤م ، وكان كاتم سره وحامل ختمه ، ومستشاره الخاص ، رافقه وهو يقود كوكبة المجاهدين العراقيين ضد الاحتلال الانكليزي... كان الامر المهم لدى السيد الحبوبى وبمعيته السيد الحكيم والعلماء الاعلام ، أن يناهض الانكليز بما يستطيع ، وان يحرك المشاعر العامة قدر الامكان ، وأن يقود جمهرة المجاهدين بما أوتي من قوة الشكيمة ، وصحة العزم ، ودقة المبادرة وليكن بعد ذلك ما يكون))^(٢٧)

ولم تكن المرجعية تصدر فتاوى الجهاد - على قلتها - من دون روية وفهم دقيق لما يحدث في الشأن العراقي بل هي تحجم عن صدورها أحيانا كثيرة فقد استطاع كاشف الغطاء أن يخمد الفتنة الطائفية في العراق في سنة ١٩٣٥ على إثر الاضطراب السياسي في استقالة وزارة المدفعي وتشكيل وزارة ياسين الهاشمي ((وحينما رأى الامام كاشف الغطاء ما وصلت إليه الحال في إثارة النعرات وسفك الدماء ، واختلال النظام العام ، تيقن في قرارة نفسه أن هذه المناورات السياسية لاتخدم مصلحة العراق في حال من الاجوال ، والجماهير تهتف باسمه في أهازيج شعبية كاد ليهيها أن يستطير ، روي لي - المتكلم الشيخ الصغير - منها:

يا محمد حسين العجل فتوى الجهاد إفتها

فجارى الامر بمحنة وروية ، ولم ينخدع بالغلاف المبطن لتلك الشعارات ، وتصرف في ضوء الميزان الواقعي في مراقبة الاحداث ، فنادى بالوحدة الوطنية وجمع كلمة العراقيين على أساس الوطن الواحد للشعب الواحد ، لاسيما وإن ياسين الهاشمي من الوطنيين البارزين وإن ثبت ذلك بعد حين ، وإن جميلا المدفعي من الاصلاحيين الذين يوفقون بين رغبة البلاط الملكي والسفارة البريطانية والشعب العراقي لا أكثر ولا أقل.))^(٢٨)

وحين تدعو المرجعية العليا إلى المحافظة على الحقوق فانها تعني بها : حقوق جميع العراقيين ، ولم تقصد حقوق الشيعة لوحدهم ، بل شملت المسلمين جميعا ، وانا نلمس ذلك واضحا عند مراجع الدين عموما ولاسيما مرجعية السيد الخوئي ، إذ كان مرجعا للمسلمين جميعا ، ويكتب على بعض كتبه : ((فتاوى مرجع المسلمين زعيم الحوزة العلمية السيد الخوئي))^(٢٩)

ويعلق الدكتور الصغير على هذا بقوله : ((ان ماتحمله عبارة)) مرجع المسلمين ((تنطبق بأدق معانيها على السيد الخوئي، وإن كان المرجع الاعلى للإمامية.))^(٣٠) ويعمل هؤلاء المراجع بناء على مقتضيات الصالح العام للشيعة ، وهذا الصالح لا يتناقض – طبعا – مع مصلحة المذاهب الاسلامية الاخرى ، بل وحتى الاديان الاخرى ، منطلقين من مبدأ أهل البيت – ع - في مراعاة الظروف العامة ، ففلسفتهم وتعاملهم مع الحكام ((لا تتجاوز التعاليم الواردة في القرآن والسنة النبوية ، ولما فيه مصلحة المسلمين وحسب مقتضيات الظروف والاحوال وليست مسألة راحة وتهرب من المسؤولية فان الظروف كانت تقتضي أن يتصرف اولئك الائمة كما تصرفوا))^(٣١)

وينقل باحث آخر عن أهل البيت ((ان أهل البيت في القرن الاول وأكثر القرن الثاني تهيأت لهم أسباب جعلتهم ذوي سجايا ليس عند كل الناس ، ذلك ان البيت النبوي كان محتفظا بكل ما توارثه من عادات نبوية ، وذكريات علوية ، وكان يذكي هذه الذكريات وينميها ما كانوا يرون من تنكر ساسة العصر لهم ، وما يرونه من أنهم حرموا السلطان فعكفوا على الميراث الذي ورثوه ولم يتجهوا إلى غيره ، وإذا كان لكل اسرة

تقاليد وعادات ونظم ، فتقاليد آل البيت في هذا العصر كانت الاتجاه إلى العلم وطلبه ونشره بين الناس والى تأليف قلوب المؤمنين وهداية الضالين)) (٣٢)

وينقل الاستاذ العقاد : أن الامام عليا كان مرجعا للمسلمين عامة وللخلفاء الذين حكموا قبله (٣٣). وعمل الائمة من ولده من بعده كل بحسب ظروفه وما كان يعتقد من ردة فعل ازاء الحاكم في زمنه . ويدخل في هذا الباب أيضا ما قام به مراجع الشيعة في البلدان التي يقطنون بها ، ولاسيما النجف بتبيان ان الاخطاء التي وقع فيها حكام الشيعة على مر التاريخ ، التي رأى خصوم الشيعة او تلك التي رآها العلماء الذين درسوا الفكر الشيعي على انها مثالب تنال من الفكر الشيعي إذ بين هؤلاء المراجع أو من كان يمثلهم بانها تختلف عن فكر آل البيت الكرام وانها صدرت من حركات تعد منحرفة اصلا عن الفكر الامامي ولا تعبر إلا عن اصحابها من الطالبين السلطان غي الآبهين بحقوق الناس ، بل رويت روايات عن ائمة اهل البيت ترفض مثل هذه السلوكيات من حكام جور ومن فرق منحرفة او من مجموعات ضالة محسوبة على الاسلام (٣٤)

ولا يتعلق الامر بالشيعة إنما يتعلق بحركة البشرية وحركة الاديان والمذاهب المختلفة ، إذ ابتليت المذاهب الاخرى بالمتشددين وبالمنحرفين وذوي المصالح المختلفة ، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله من الذين يحرفون الامور لصالحهم ويؤولون الاشياء بحسب ما تقتضيه المصلحة العامة ، وكان أهل البيت يحذون حذوه في هذا الامر ، بل كان الامام علي ينهى عن قتل الخوارج من بعده ويرى فيهم أنهم اجتهدوا فأخطأوا ؛ لانه عليه السلام يعتقد ان الفكر ينحرف في بعض الاحيان ، ولا يجب استعمال السيف لتسوية الامور الفكرية . وانه قبل بالمعارضة السياسية ، وأنه أعطى لنصراني محتاج من بيت المال ، وانه يوزع العطايا على المحتاجين ليلا ، كل هذا لايهدف الدفاع عن الحقوق . وكانت رسائلة واضحة إلى عماله يأمرهم بمعاملة الرعية بعدالة وإعطائهم حقوقهم .

ثالثا : النصح والارشاد

بما ان الانسان يعيش مع الاخرين في مجتمع واحد ، وان فطرته تلح عليه في الاندماج مع الجماعة ؛لانه "مدني بطبعه" أو "اجتماعي بطبعه" ومن الادلة على ذلك انه ينطق وهذا هو المبدأ الذي كان يقول به ارسطو والفلاسفة الاغريق الاخرين حينما عرفوا الانسان بانه حيوان ناطق . وكلمة حيوان تشير الى الحياة وغلى استمرارها ، قال تعالى :

حُسْنُ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا اِلَّا لَهُوٌ وَلَعَبٌ وَاِنَّ الدَّارَ الْاٰخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ
عندهٗ. (٣٥)

وقريب من هذا المفهوم يقول الطباطبائي : ((كون النوع الانساني نوعا اجتماعيا لايحتاج في إثباته إلى كثير بحث فكل فرد من هذا النوع مفطور على ذلك ولم يزل الانسان يعيش في حال الاجتماع على ما يحكيه التاريخ والآثار المشهودة الحاكية لاقدم العهود التي كان هذا النوع يعيش فيها ويحكم على هذه الارض)) (٣٦)

والظاهر ان هذه الفطرة لاتكفي الانسان أن يعيش من دون توجيه ومن وعظ وارشاد ؛ لذا يتقول المرجعية العليا في النجف : ((إن كل فرد وكل مجتمع بحاجة ضرورية للتعايش مع الاخرين وفق مبادئ واسس وقواعد تنظم هذه العلاقات بحيث يستجاب منها الحاجة الفطرية وتتسق مع سيرة العقلاء ، وفي نفس الوقت يستقر المجتمع ويسعد وتنظم أموره بعيدا عن تسلط الانانية والغريزة الشخصية والمصالح الانانية الضيقة وغير ذلك من الامور الانسانية التي تهدد سلامة العلاقات الاجتماعية وتهدد استقرار المجتمع)) (٣٧)

إذا لا بد من أمور مكممة حتى تلبي الفطرة الابتدائية التي أودعها الله تعالى في الانسان وجعله خليفة في الارض . ولا بد أيضا من ضوابط تكبح جماح الانانية والغريزة – التي منها حب التسلط مثلما مر علينا – وهذه الضوابط هي مجموعة من القيم والتقاليد والاخلاق تشكل منظومة كاملة يضعها اناس لهم خبرة وموثوقية ودراسات معمقة وتكون خضعت للتجريب تهدف الى العيش بانسيابية وغلى اعمار الارض . وغذا انطبقت هذه الضوابط على المجتمع الحديث فانها تنطبق ايضا على المجتمعات الماضية عن

طريق قيم أودعها حكماء مروا بتجارب اجتماعية ، ويقف في الصدارة من هؤلاء الحكماء الانبياء - ع - فهم مسددون بوحي إلهي لا يخطئ ولا يزل ، انما هو على صراط مستقيم . فلا بد غذا من حكماء يرشدون الناس ، ويكون هؤلاء الناس مطمئنين لهم ويصغون لما يقولون ولا بد لهم من كلمة نافذة ، إذ يقول الامام علي : لا رأي لمن لا يطاع . وتقف المرجعية اليوم في الصدارة من القوم ولهم احترامهم وسمعتهم التي تؤهلهم للنصح والتوجيه والارشاد ، ومن يتابع خطبهم التي تقرأ بالنيابة عنهم كل جمعة من الصحن الحسيني الشريف . يجدهم يقدمون للناس ما يخدمهم ويأخذ بأيديهم إلى جادة الصواب ، وهي بمجملها تعبر عن النظرة الاسلامية التي ينبغي ان يلتزم بها المجتمع الاسلامي ؛ فلانستغرب إذا ان تستند الى الايات القرآنية فيما تريد تناوله او توجيه الناس اليه : **حُسْنُ بِنَائِهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَحْوٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا عِنْدَهُ** (٣٨)

وبينت المرجعية - بعد أن تلت الاية الكريمة - إن الجميع - بما فيهم المسلم وغير المسلم - يعودون إلى أب واحد واصل انساني واحد ومن عائلة انسانية واحدة (٣٩) وحقيقة الاستشهاد بهذه الاية وبالآيات الدالات على أن لافرق بين أبناء الجنس البشري إلا بالتقوى وبالعمل الصالح الذي يخدم البشرية ، لكن الذين يروجون إلى العنصرية او الذين يعملون بها إنما ينطلقون من مصالح تجعلهم يرغمون البشرية على التفرقة بين الاسود والايض ويدلسون عليها بان الجنس الابيض ارقى من الاسود - على غرار ما فعله الامريكان أيام التمييز العنصري - إذ كانوا لا يسمحون للاسود بركوب عربات القطار المخصصة للبيض غلا بعد الخامسة مساء ، وطبيعي ان البيض يشعرون بالزهو وتقتضي مصلحتهم أن يؤيدوا مثل هذا التوجه العنصري . مع علمنا ان من الرجال البيض من قاوم هذا النوع من التمييز واصدروا قوانين ودستورا يلغي التمييز العنصري . وعلى غرار ما لاحظناه في المانيا من تمييز الجنس الاربي على بقية الاجناس حتى البيضاء منها ؛ لان من زعمائها - ولاسيما - هتلر أراد ان يستحوذ على العالم وأن يفرض اللغة الجرمانية على الكرة الارضية ، وباءت محاولاته بالفشل الذريع . بل ان الوقائع أثبتت

الآن ان السود يتفوقون على البض في القوة وان بشرتهم تتحمل الشمس وان اسنانهم اجود واصواتهم أعذب ، والتفت – من قديم – الجاحظ في رسالته في مفاخرة السودان على البيضان إلى هذه الحقائق ، وضرب أمثلة من حكماء السودان وفضلهم^(٤١) وأكدت المرجعية على ارشاد الناس في أكثر من خطبة ، وكانت شديدة على المفسدين ، ومكانتهم هي التي وضعتهم في مواجهة أهل الجور ، الذين يقومون بالاعتداء على الناس وأموالهم وأعراضهم ماديا وجسديا ((ومن هنا فاننا نستخلص أهمية وجود المرجعية الرشيدة ودورها وما هي أهم المواصفات المناط إليهم هذه المسؤولية الارشادية التي دفع بها الائمة الاطهار (عليهم السلام) إلى العلماء المختصين ، فهناك صفات وقواعد وشروط وضعوها للأمة كي تكون في المكان السليم بعيدا عن طرق الجور والضلال والهلاك))^(٤١)

وكان بالمقابل من هذا الارشاد والتوجيه الذي قامت به المرجعية ، لمقارعة السلوك المضاد الذي يهدف إلى التشكيك بأحكام الدين الحنيف وانها أصبحت قديمة قد أكل عليها الدهر وشرب ويجب ابدالها بأمر اخرى تناسب العصر الحديث والهدف من هذا ما يراه باحث هو الدين المحمدي الاصيل ولو أردنا ان نخضع لهذا الجو الضاغط الذي يثيره الحاقدون فان علينا ان نتوقع ان نطالب ربما بالخروج عن ديننا إلى دينهم والعياذ بالله فان جميع أعداء الدين والمذهب لا يرضون بما نحن عليه^(٤٢) ويتابع الباحث الكريم باننا لو أردنا ان نخضع لهذه الاجواء فان علينا ان نلغي الكثير من التشريعات التي يعلن عنها العلمانيون وغيرهم رفضها ويجاهرون بنقدها ويهتمون بتسفيهاها ويتابعهم على ذلك كثير من الناس البسطاء الذين لاحظ لهم من العلم ويأخذون الامور بسلامة نية وحسن طوية^(٤٣)

وهناك من الباحثين من يذهب إلى ان المرجعية تعمل على ((ايجاد تيار فكري واسع في الامة يشتمل على المفاهيم الاسلامية الواعية من قبيل المفهوم الاساسي الذي يؤكد بان الاسلام نظام كامل شامل لشتى جوانب الحياة واتخاذ ما يمكن من أساليب لتركيز تلك المفاهيم))^(٤٤)

ويستطرد الباحث قائلا ((وكذلك تعمل على اشباع الحاجات الفكرية الاسلامية للعمل الاسلامي وذلك عن طريق ايجاد البحوث الاسلامية الكافية في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والمقارنات الفكرية بين الاسلام وبقية المذاهب الاجتماعية وتوسيع نطاق الفقه الاسلامي على نحو يجعله قادرا على مد كل جوانب الحياة بالتشريع وتصعيد الحوزة ككل على مستوى هذه المهام الكبيرة))^(٤٥)

وذهب ابعد من ذلك بقوله : ((وتمارس المرجعية القيمومة على العمل الاسلامي والاشراف على ما يعطيه العاملون في سبيل الاسلام في مختلف انحاء العالم الاسلامي من مفاهيم وتأييد ما هو حق منها واسناده وتصحيح ما هو خطأ^(٤٦)

والحق ان الباحث الكريم لم يتطرق الى الكيفية التي تعمل بها المرجعية في ايجاد تيار فكري واسع ، واين مصاديق هذا الكلام في الكتب . ولانعرف انها تعمل على ايجاد البحوث الاسلامية وما هي السبل على ذلك ، واخيرا يشير الى امور تتعلق بولاية الفقيه فلربما تتوافر فيها مثل هذه التوجهات ، والقاء الكلام على عواهنه بهذا الشكل لا يخدم ما نحن بصدده من توثيق الامور واعطاء كل ذي حق حقه ، آخذين بالحسبان سلامة نية الباحث الكريم وتمنيه الخير للاسلام والمسلمين . والذي نلاحظه ان المرجعية العليا في النجف تتحرج كثيرا في مثل هذه الامور فلا تفرض رأيها فيما يتعلق بالامور العلمية في داخل العراق ناهيك عن خارجه ولا ترضى بان ترفع جهة ما صورها او تهتف باسمها ومن يفعل ذلك فمن تلقاء نفسه ، وتكتفي بان تسدي النصح والتوجيه القويم لمن يستفتيها او من خلال خطبها . هذا هو المعلن والظاهر ، والناس مامورة بظاهر الامور ، ولا علاقة لها بمن يؤل كلامها على هواه او تبعا لطريقته الخاصة ، ومن الناس من يتمنى ان تفعل المرجعية الامر الفلاني او تقوله . وفي الحقيقة هي لم تفعل ولم تقل تلك الامور التي يرغب بها بعض الناس . فهي عالنة انها تقف على مسافة واحدة من الجميع ولا تفضل طرفا على طرف ، وتقول دوما ان الشخص الذي يرضى به العراقيون ترضى هي به (فيما يتعلق بالانتخابات) . هذا هو الموقف بشكل صريح لاغموض فيه . ويبدو لي - كما يبدو لآخرين ايضا - انها لاتنشد مصلحة من احد ولا تتسلم راتبا من احد

فهي مكتفية بذاتها ؛ ومن اجل ذلك تراها تقف المواقف الموضوعية . وعليه فلا يصح الاعتماد على من يريد تشويه الحقائق وخلط الاوراق : ((وللاسف فان هناك من لا يريد ان يبحث ويتأكد بنفسه عن الحقيقة فتجده يعرض نفسه لموجات متلاحقة من الافكار الباطلة ، ومثل هذا الانسان يعتبر بعيدا عن الحقيقة وهو يحتاج الى وقت طويل لكي يتخلص من تلك الوسوس والظنون التي تدخل الى القلب مباشرة بمجرد ان تكون المنافذ مفتوحة وبالتالي فان رؤيتنا للحقائق ستكون رؤية مشوهة))^(٤٧)

ولطالما نظرت المرجعية العليا في النجف الى ان الحرية حق مشروع ، ولا تجدها متعصبة او متشددة في هذا الموضوع ، وكانت تقرن ذلك باحترام حقوق الاخرين وحياتهم وتريد الالتزام بقانون الدولة ، وانها تدعو الى ذلك باستمرار ، حتى انها رأت ان الدولة واجهتها هي التي يجب ان تحمي المتظاهرين وتحمي الممتلكات العامة والخاصة ؛ ترى ان الدولة هي الجهة المخولة بهذا الامر ، ومن ينظر الى ذلك يجده متطابقا مع رؤية الاسلام المحمدي التي يتفق في كثير من قوانينه مع دساتير العالم المتحضر ، وان يوافقها في جوانب اخرى . وان الاسلام منح الناس حريات واسعة شرط ان لا تضر بمصالح المسلمين^(٤٨) ،

ومن الادلة على ذلك ما نقله صاحب وسائل الشيعة بقوله : روى سليم بن قيس الهلالي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال : ((الواجب في حكم الله وحكم الاسلام على المسلمين بعدما يموت امامهم او يقتل ضالا كان او مهديا ان لا يعملوا عملا ولا يقدموا يدا ولا رجلا قبل ان يختاروا لانفسهم اماما عفيفا عالما ورعا عارفا بالقضاء والسنة ويجبي فيأهم ويقيم حجهم ويجبي صدقاتهم))^(٤٩)

وقول الامام علي ان يختاروا لانفسهم هو عين الحرية التي يتمتع بها الاسلام ، على غرار ما نراه اليوم في الديمقراطية الحديثة ، مع النظر الى شروط يجب ان يتمتع بها المختار من معرفة بالقضاء وورع وغيرها وهي امور ايجابية حقا ، ويجب الا يفرضها المسلمون كما يجب عليهم الا ينساقوا مع رجل لا يقيم حدود الله ويضيع حقوقهم .

الخاتمة

- ينبغي تلخيص النتائج التي توصل اليها البحث ، ويمكن اجماله بالآتي :
- لاتحيد المرجعية عن الخط الذي رسمه الاسلام جملة وتفصيلا في القضايا التي طرحتها سواء أكان هذا الطرح من خلال خطب الجمعة او من خلال الاستفتاءات .
 - كانت توجيهات المرجعية متنوعة من حيث الطرح فمنها ما يتماشى مع موضوعات الساعة ومنها ما يتعلق بالخطوط العامة التي يمر بها المجتمع العراقي .
 - نجد ان توجهات المرجعية العليا متقاربة الى حد كبير على مدى عقود من تاريخ العراق المعاصر .
 - انها تلبي نداءات الناس في اية منطقة من العراق ، فراها اعلنت الجهاد العيني ضد الانكليز في الربع الاول من القرن الماضي مع انه صدر من شيخ الاسلام في اصطنبول ، و اعلنت الجهاد الكفائي في القرن الواحد والعشرين .
 - انها لاتنكف تدعو الى الارشاد والتوجيه دون كلل او ملل .
 - انها تدعو الى حفظ ممتلكات الناس الخاصة والى حفظ ممتلكات الشعب العامة .
 - انها تقف على مسافة والحدة من جميع فئات الشعب الواحد .
 - تدعو الى كلمة واحدة تضم جميع اطراف الشعب العراقي ووحدته .
 - تدافع عن حقوق الشعب العراقي كافة .
 - تدعو الى السلم المجتمعي من اجل الحفاظ على حقوق الشعب وصيانة كرامته .
- الملخص:

يدرس هذا البحث "الأثر" المترتب على مزاولة المراجع أعمالهم الشرعية في بناء المجتمع ، وما من شك أنّ هذا الاثر سيكون ايجابيا ؛ لما عرفوا عن هذه الطبقة من الناس به من ورع وسلوك قويم معتمدين على هدف أسمى هو هداية الناس .

ويبرز دورهم الكبير في أيام المحن والشدائد التي تمرّ بالأمة ، إذ يلجأ إليهم الناس طلبا لأمر الفتوى وكيف يتصرفون بناء على مقتضى الحال فيما يتعلق بشؤونهم طبقا للشريعة المحمدية السمحاء . فقد حضّ كبار المراجع على العيش بوئام بين أبناء المجتمع على

اختلاف طبقاتهم وأديانهم فلم يكونوا يعنون بطائفة الشيعة – مثلما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة – مع أنهم زعماء لهذه الطائفة ، بل إنهم يؤكدون على السلم دوماً منطلقين من النص القرآني وسيرة المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة آل البيت الطاهرين . وكانوا يقولون للناس ان الاختلاف بين الاديان مسألة مسألة طبيعية تفرض التعامل معها بعقلانية وإيجابية .

وقد فرض الدين الحنيف العدالة بين أفراد المجتمع ؛ لمعرفة الشارع المقدس بالمخاطر التي تحدد بالامة – في حال فرط الناس بهذا – ويجب الانتباه إلى مسألة مهمة تتعلق بالكوارث المتأتية من الصراع الديني ، فقد مرت شعوب بحروب طاحنة وقع على إثرها الالاف من الناس نتيجة للحروب الدينية والمذهبية ، فهي أخطر ما تكون على الناس ولا سيما إذا استغلها المتصيدون بالماء العكر أو الذين يبحثون على المصالح . وكانت المرجعية تؤكد أيضا من خلال خطبها على الاصل الانساني الواحد من خلال الخلق الاول لادم ومنه خلقت زوجته حواء ؛ وما ذاك إلا لحض الناس على التكاتف والعمل البناء والالتفات إلى ما يجمع الناس على كلمة سواء وعلى مشتركات الانسانية . وكانت المرجعية تتخذ من القرين الكريم وسيرة الرسول(ص) العطرة وآل بيته الاطهار منارا لتوجيه الناس من أجل بنائهم بناء صحيحا غير ذي عوج بعيدا عن الانحراف الذي نراه هذه الايام وما ينجم عنه من فرق ضالة أو متطرفة تؤدي بالنتيجة من نفور الناس من الاسلام وتتخذها حجة للتدخل في شؤون المسلمين وتشتت كلمتهم وتفرقهم من اجل إضعافهم ومن ثم النيل منهم .

الهوامش:

(١) من خطبة الجمعة . الصحن الحسيني بتاريخ: ٢٠١٧/٥/١٩ .

(٢) الحج : ٣٩ .

(٣) ظ : رسالة الشيرازي : إذا قام الاسلام في العراق :

(٤) الاحزاب : ٢١ .

(٥) من خطبة الجمعة : الصحن الحسيني بتاريخ ٢٠١٧/٨/١١ .

(٦) مقالات ودراسات : ١٥ .

- (٧) م. ن: ١٥ .
- (٨) من خطبة المرجعية في الصحن الحسيني بتاريخ: ٢٠١٧/٨/١١ .
- (٩) من خطبة المرجعية في الصحن الحسيني بتاريخ: ٢٠١٧/٨/١١ .
- (١٠) م. ن. .
- (١١) م. ن. .
- (١٢) الحج: ١٧ .
- (١٣) البقرة: ٦٢ . والمائدة: ٦٩ ، بتقديم الصابئين على النصارى ، وفي الايتين لم يذكر المجوس والمشركين الذين ذكرهم في الاية السابقة .ظ: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: ١٠٦ و: ١٠٧ . وذكر الايات التي وردت فيها الاصناف المشار إليها .
- (١٤) البقرة: ٢٥٦ .
- (١٥) من خطبة المرجعية في الصحن الحسيني بتاريخ: ٢٠١٧/٨/١١ .
- (١٦) المائدة: ٣٢ .
- (١٧) المائدة: ٣٢ .
- (١٨) المعهد الاسلامي بين الاصاله والتطوير: ١٠٩ .
- (١٩) م. ن. .
- (٢٠) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨/١٧ .
- (٢١) علم النفس الاجتماعي: ١٠٢ .
- (٢٢) ظ: يقظة العرب: ٢٢٢ .
- (٢٣) لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٤ / ١٢٧ .
- (٢٤) ظ: شكيب أرسلان: ١٣٢ .
- (٢٥) شيعة العراق وبناء الوطن: دراسة تاريخية منذ ثورة الدستور وحتى الاستقلال: ٤٦٦ .
- (٢٦) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٤٣/٦ .
- (٢٧) أساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف: ١٣١-١٣٢ .
- (٢٨) م. ن: ١٩٩-٢٠٠ .
- (٢٩) م. ن: ٢٩٧ .
- (٣٠) أساطين المرجعية العليا: ٢٩٧ .
- (٣١) الفكر السياسي الشيعي: ٢٧١ .
- (٣٢) الامام زيد: ٩٠ .

- (٣٣) ظ: عبقرية الامام علي : ٤١ .
- (٣٤) ظ : الامام زيد : ٤٣ . وظ ايضا : الشيعة والحاكمون : ٧ .
- (٣٥) العنكبوت : ٦٤ .
- (٣٦) تفسير الميزان : ٩٢/٤ .
- (٣٧) من خطبة الجمعة في الصحن الحسيني بتاريخ : ٢٠١٧/٥/١٩ .
- (٣٨) النساء : ١ .
- (٣٩) ظ : من خطبة المرجعية في الصحن الحسيني بتاريخ : ٢٠١٧/٨/١١ .
- (٤٠) ظ : رسالة الجاحظ في المفاخرة بين السودان والبيضان .
- (٤١) المرجعية الدينية درع الامة قراءة وتحليل في مواقف المرجعية تجاه التيارات المنحرفة والاحادية : ٤٤٦ .
- (٤٢) م . ن : ٤٤٧ .
- (٤٣) المرجعية الدينية درع الامة : ٤٤٧ .
- (٤٤) دور المرجعية في التصدي للحركات الاحادية والتيارات المنحرفة : ٦٣ .
- (٤٥) م . ن : ٦٨ .
- (٤٦) م . ن : ٦٨ . ونقل من : مباحث الاصول لكاظم الخائري : ٩٣/١ .
- (٤٧) المعهد الاسلامي : ١٩٧ .
- (٤٨) ظ : فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين : ٣٥ ، وظ : المدخل للعلوم القانونية : ١٤٠ .
- (٤٩) وسائل الشيعة : ١٤/٦ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم . --

- أساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف : الدكتور محمد حسين علي الصغير .
مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت - لبنان . ط ١ ٢٠١٢ م .
- الامام زيد : محمد ابو زهرة . دار الفكر العربي القاهرة . ١٩٧٤ .
- تفسير الميزان : الطباطبائي . منشورات مؤسسة النشر الاسلامي . قم . (د.ت) .
- رسائل الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هرون .
الفكر السياسي الشيعي الاصول والمبادئ . د . حسن عباس حسن . الدار العالمية للطباعة
والنشر والتوزيع . ط ١ ١٩٨٨ .

- فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين دراسة مقارنة . د. محمد شريف احمد . دارالرشيد . بغداد . ١٩٨٠ .
- عبقرية الامام علي . عباس محمود العقاد . دار المعارف القاهرة . ط ٤ . ١٩٧٦ .
- علم النفس الاجتماعي . د . حامد عبد السلام زهران . عالم الكتب . القاهرة . ط ٥ . ١٩٨٤ .
- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث . د. علي الوردي : مطبعة الارشاد بغداد . ١٩٦٦ .
- شكيب أرسلان : محمد شفيق شيا : بيروت- دار الانماء العربي : ١٩٨٣ .
- شيعة العراق وبناء الوطن : دراسة تاريخية منذ ثورة الدستور وحتى الاستقلال ١٩٠٨-١٩٣٢ . د . محمد جواد مالك : مؤسسة الاعلمي بيروت ٢٠١٢ .
- الشيعة والحاكمون : محمد جواد مغنية . المكتبة الاهلية . بيروت - لبنان _ دون تاريخ .
- مباحث الاصول . كاظم الحائري . دار البشير . قم المقدسة . ط ١ ١٤٢٨ هـ .
- المدخل للعلوم القانونية . د. جعفر الفضلي ود. منذر عبد الحين الفضل . جامعة الموصل . ١٩٨٧ .
- المرجعية وأثرها في بناء الانسان . المؤتمر العلمي الدولي . المحور الفكري-القسم الاول . ٢٠١٩ .
- المرجعية وأثرها في بناء الانسان . المؤتمر العلمي الدولي . المحور الثقافي-الجزء السادس . ٢٠١٩ .
- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة . محمد بن الحسن الحر العاملي . مؤسسة اهل البيت لاهياء التراث . قم المقدسة . ١٤١٤ هـ .
- يقضة العرب جورج انطونيوس ترجمة د . ناصر الدين الاسد ود . إحسان عباس بيروت - دار العلم للملايين ط ٧ ١٩٨٢ .